

## ثانيا : ممالك الهوسا .

تشمل بلاد الهوسا ما يعرف الآن بـنيجريا الشمالية و جزء من جمهورية النيجر ، و كانت تقع في العصور الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي و سنغاي غربا ، و تحدها من الشمال بلاد أهير و الصحراء الكبرى و من الجنوب ما يعرف الآن بـنيجريا الجنوبية و من الشرق مملكة برنو ، و الهوسا أو الحوصا اصطلاح لغوي يطلق على الذين يتكلمون لغة الهوسا ، و لذلك فليس هناك جنس يمكن أن يتسمَّ بهذا الاسم إذ أنّ الهوسيين لا ينحدرون من دم واحد بل جاء أغلبيتهم نتيجة امتزاج حدث بين جماعات قبلية و عرقية كثيرة أهمها السودانيون أهل البلاد الأصليين و الطوارق من البربر و الفولانيون و بعض العرب المهاجرين ، و نتج عن هذا الإمتزاج هذا الشعب الذي أصبح يتكلم لغة واحدة هي لغة الهوسا التي انتشرت في إفريقيا الغربية حتى أصبحت لغة الناس و المعاملات التجارية و المالية<sup>1</sup> .

تقول الأساطير إنّ ممالك الهوسا كانت أربع عشرة مملكة قامت عن طريق غزوة من برنو قادها شخص يدعى بايزيد ، و كان بايزيد هذا من رقيق سلاطين برنو ، و على أية حال فإنّ الأساطير تذكر أنّ بايزيد قدم من برنو بصحبة ابنة السلطان و إحدى المحظيات ، و عندما وصل إلى بلاد الهوسا ذبح الجني الذي يقوم على حراسة الماء و حرّر البلاد ، و قد خلفه أبناءه السبعة و كونوا الممالك السبع التي شكلت النواة الأولى لبلاد الهوسا ، و إلى جوار هذه الممالك السبع كانت توجد سبع ممالك أخرى سكانها ليسوا جميعا من الهوسا و تعرف بأشقاء الهوسا<sup>2</sup> .

و هناك رواية أسطورية أخرى حول نشأة ممالك الهوسا تقول بأنّه في أوائل القرن 11م كانت تحكم مدينة دورا " daura " العظيمة ملكة جاءت بعد تسعة حكام سبقوها ، و قد تعرضت البلاد للخراب بسبب وحش هائل كان يمنع الناس من السعي وراء رزقهم حتى جاء أحد الرجال البيض مع من جاؤوا من جهة الشرق أو الشمال و هو ابن ملك بغداد فتمكن من القضاء على ذلك الوحش و تزوج من الملكة و أنجب منها سبعة أبناء أنشأوا فيما بعد السبع مقاطعات الأولى لمملكة الهوسا<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 203 .

<sup>2</sup> ك. مادهو بانيكار، مرجع سابق، ص 200 .

<sup>3</sup> دنيس بولم، مرجع سابق، ص 53 .

و هذه الإمارات هي :

- بيرام " Biram " .
- دورا " Daura " .
- غوبر " Gobir " .
- زاريا " Zaria " .
- رانو " Rano " .
- كاتسينا " Katsina " .
- كانو " Kano " <sup>1</sup> .

و تذكر الأسطورة أيضا أنّ هذا الزعيم تزوج امرأة أخرى و أنجب منها سبعة أبناء أيضا  
و استطاع هؤلاء الأبناء أن يشيدوا سبع ولايات أخرى إلى الجنوب و هي كَبّ و نوب و جوارى  
و يوري و كوارافا و إورين و زنفرة<sup>2</sup> .

و ظلت ممالك الهوسا تعيش في داخل دويلات صغيرة يتصارع كل منها مع الأخرى ، فكانت  
السيطرة في الغرب لكل من مالي و السنغاي ، بينما كانت السيطرة في الشرق للبرنو ، و رغم ذلك  
فإنّ بلاد الهوسا كانت تتعرض للهجمات التي يشنها عليها شعوب مثل الكوارارافا<sup>3</sup> .

و يرى بعض الباحثين أنّ بعض الولايات كانت لها ميزة مختلفة عن الأخرى ، فأقواها كانت  
ولاية غوبر التي كان اسمها يطلق على بلاد الهوسا في كثير من الأحيان ، و في المقابل كانت ولايتا  
بيرام و دورا صغيرتين مسالمتين لعدم تعرضهما لهجوم من جيرانها ، أمّا كانو و كاتسينا فكانت  
تتمتعان بأهمية صناعية و تجارية غير موجودة في ولايات أخرى<sup>4</sup> .

و في بعض المراجع نجد ولاية زنفرة بدل ولاية بيرام السالفة الذكر ، و يرى البعض أنّ دورا  
هي أقدم هذه الإمارات و أنّ دماء أهلها وافدة من مصر العليا و الحبشة و بلاد العرب ، و كانت

<sup>1</sup> سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل باري، مرجع سابق، ص 146 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 147 .

<sup>3</sup> فيج . جي . دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة : د/ السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م، ص 77 .

<sup>4</sup> سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل باري، مرجع سابق، ص 147 .

كاتسينا تتوسط الإمارات و زاريا أوسعها أرضا و كانوا أغناها و جوبر أجذبها و تقع في شمالها<sup>1</sup>.

كانت ممالك الهوسا أشبه بالمدن الدولة في إيطاليا خلال عصر النهضة ، فهدفها الرئيسي هو الرخاء التجاري و الحروب لا تعدو كونها وسيلة لمنع ظهور أي قوة منافسة ، و في ذلك قامت كاتسينا و كانوا بدور هام ، فأسوار المدن وفرت الحماية لأصحاب الحرف و مكنت الزراع من مواصلة حياتهم العادية ، ذلك أنّ الحياة خارج الأسوار كانت تحفها الأخطار دائما<sup>2</sup>.

و كان شعب الهوسا من أكثر الرحالة و التجار مغامرة ، فقد كانت مدنها تحتل موقعا جغرافيا ممتازا عند الطرف الجنوبي لأحد أهم طرق القوافل التجارية الصحراوية العظيمة الذي يصل شمالي إفريقيا بوسطها و غربها ، و ما إن انهارت مملكة السنغاي أمام الغزو المراكشي في نهاية القرن 16م تحول المجرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقيا شرقا إلى بلاد الهوسا ، و قفزت إمارة كاتسينا بصفة خاصة إلى مكان الصدارة و الشهرة ، و سرعان ما أصبح التجار الهوسيون يسيطرون على النشاط التجاري في جميع أنحاء إفريقيا الوسطى ، و تضخمت جاليتهم في كل المراكز التجارية المهمة بل و أصبحت لغة الهوسا لغة التخاطب العامة في الأسواق<sup>3</sup>.

و قد دخل الإسلام بلاد الهوسا و رغم وقوعها بين إمبراطوريتين إسلاميتين كبيرتين قديمتين في الإسلام ، إذ أسلمت كل منهما في القرن 11م و هما إمبراطورية البرنو شرقا و إمبراطورية مالي ثم السنغاي غربا ، إلا أنّ إمارات الهوسا لم تتحول للإسلام في نفس الفترة و لا في وقت واحد بل تأخر إسلامها بعض الوقت ، و كان بعض أهلها لا زالوا على الوثنية حتى بداية القرن 19م ، و عندما دخلها الإسلام كانت إمارة كانوا من أسبقها دخولا في هذا الدين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 203 .

<sup>2</sup> ك. مادهو بانيكار، مرجع سابق، ص 210 .

<sup>3</sup> سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل علي باري، مرجع سابق، ص 148 .

<sup>4</sup> الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 205 .